من تعدي العربان في البر ما يلاقون . وهذه السكة تذهب بهذه النكبات. وتزيل هذه المضرات

الساعي بالخير كفاعله وقد ورد في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وغيره « من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة » وهذه السكة الحديدية سنة سنها مولانا الخليفة والسلطان الاعظم وكل من اعان عليها فهو من اسباب وجودها لانها لا تتم الا به فهو شريك في ثوابها فبادروا رحمكم الله الى هذا الخير العظيم والاجر الكبير « وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً واعظم اجراً »

محمد رشيد رضا

الشعر العربي

لحضرة الاديب اللوذعي مصطفى افندي الرافعي

ضربت العرب في الشعر كل بسهم فمخطئ ومصيب حتى ملأوا بقاع الاذهان حكمة وغرسوا في الافكار فسيلة الخيال فاذا هي شجرة طيبة اصلها ثابت في الجنان وفرعها في اللسان تؤتي أكلها كل حين باذن ربها . ظلوا سائرين بعد ذلك في انجاد واغوار بين ارتقال وايضاع حتى اذا اخذت الافكار زخرفها من تلك الوهاد واصبح اهلها قادرين عليها ارتفعوا بشعرهم . فمن باسط يده لشهب السماء ومن قابض بأنامله على كواكب الجوزاء ومن سابح في البحار الى سائح في القفار وفي كل ذلك منهم قاصر ومجيد .

لقد صح للعرب وذلك مبلغهم من العلم أن يقولوا ان الشعر يرفع ويضع ويضر ينفع . وليس بعيداً أن يعلو بقوم وينزل بآخرين ما دامت الاسماع على الافواه تلتقط الكلمة يطرحها الشاعر من بين شفتيه فاذا هي في انحاء البلاد جارية على ألسن العرب مجرى الماء العذب

روى لنا التاريخ في اصل ضمة بني انف الناقة وخمول ذكرهم ونبزهم بهذا اللقب ان ابا انف الناقة كان له جملة من الولد مختلفات امهاتهم وكان انف الناقة واحد أمه فنحر يوماً ناقة وقال لولده اذهبوا فاقتسموها فتباطأ انف الناقة حتى لم يبق منها الا رأسها فذهب ليأخذه وأدخل ذراعه في انفه واحتمله فقيل له انف الناقة وعير بذلك فلما قال في مدحهم الحطيئة

قوم هم الانف والاذناب غيرهم ومن يسوّي بأنف الناقة الذنبا

علا قدرهم وارتفع ذكرهم وصار اللقب مفخرهم بعد ان كانوا ينتسبون الى مختلفين من الاجداد مخافة ان يعيروا بذلك اللقب الشنيع .

وكانت نمير من اعز القبائل حتى اشتهرت بجمرة العرب لقصر انسابهم عليهم اذ ليس فيهم دخيل فهم لا يخرجون من نسائهم لغيرهم ولا يدخلون من رجال غيرهم على نسائهم وحتى كانوا اذا قيل لاحدهم ممن الرجل قال نميري مفخمة يملأ بها فاه . فلما قال جرير يهجو الراعي

فغُضَّ الطرف انك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

ذل هذا الاسم واتضع وانتسبوا بعد ذلك لجد أعلى منه فكان واحدهم يقول اذا سئل الانتساب « عامري » تاركاً منتسبه الاول من ورائه ظهرياً .

تلك حالة الشعر والشاعر ايام كان الاول تارة كالنجم الزاهر وآونة كالسيف الباتر ومرة كالعقاب الكاسر وطوراً كالليث الخادر وأيام كان

الثاني في رصانة النظم عالي الذكر جليل القدر يثور بعقوله كالاسد بمخلبه فتخشاه القبائل وتخافه العشائر .

بهذه الثياب الطبيعية التي كان يلبسها الشاعر حيناً فحيناً وبذلك الباتر العضب الذي ابتز به تلك الثياب لم يغادر الشعراء من متردم . تخلف من بعدهم خلف أضاعوا المقصد وأضلوا المورد فظلوا كالضبع على بعد المزار حتى بلغوا من البحر نجعة فلزموها يرددونها في افواههم ترديد الصبي لعابه حتى انقلبت فقاقع يغرهم فيها قول الناس انها الماء الزلال او السحر الحلال .

ذلك مورد الشعر في عصوره الاولى بل والوسطى ايام كان يفيض عن ألسنة الفرزدق وجرير وابي تمام والبحتري والمتنبي وابي العلاء والشريف ومهيار ومن كان من هذه الطبقة . أما وقد حملت الارجل بعدهم أثاثاً لا ألسنة لهم الا صحف اسلافهم يقطعون من مشتجرها اشجاراً ويجنون من حدائقها ثماراً زاعمين ان القراس بايديهم والمراس بانفسهم والشجرة لم تثمر الا بعد ان سقوها من عرقهم كالسيل المنهمر فاهتزت ارضها وربت وانبتت من كل زوج بهيج — فليس الشعر الا شعيراً وليس الشاعر الا ناعراً .

اولئك الزعانف الذين جعلوا الشعر تجارة وليتها لم تكن بائرة واتخذوا النظم صفقة ولكنها خاسرة قد ركبوا من الملت سفناً وقذفوا بانفسهم في بطونها كما يقذف بالطير في القفص مجذوذاً جناحه فلا طير ولا اوتياش حتى انكدرت نجوم الشعر وكسفت شموس اهله .

حسبوا ان الزمان من صباه الى هرمه لم يكن في عمرانه غير الطلل البالي والمنزل الخالي فهم يسلمون عليه ويبكون لديه حتى تسيل المحاجر

السود على الخدود الصفر فتجري الشؤن الحمر كالانهار على ظهر القفار كل ذلك والشاعر يقول انه غرق بدمعه وعميت عليه غياهب القضاء حتى ضاق بعينيه الفضاء وانه استبسل للمقدور واستسلم للمحذور وفي كل هذه المصائب التي يذكرها تجد قلمه في يديه وقرطاسه أمام عينيه وهو يفكر ويسطر ولا ظلل ولا بكاء ولا محذور ولا قضاء ولا قفار ولا انهار ولا جبال ولا تلال ولا ظباء نافرة ولا أسود كاسرة ولكنه الخيال يدع الارض سائرة والجبال مائرة والامور تتقلب في الافكار كتقلب الليل والنهار على حين لا طائل تحت ذلك ولا جدوى من ورائه . وحسبوا ان ليس في الارض غير العقيق والجزع والمفازة والدهماء والاجرع والجرعاء والموجاء والهيجاء والبان والسلم والكثبان والعلم وهم يرون باعينهم القصور الشامخة والمصانع الباذخة والعمران في نضارته والانسان في غضارته والبحار وما فيها والبخار ومايحمله والكهرباء وما تصنعه . وكل هذه الآيات البينات لا تثنيهم عن تلك الرسوم الدارسات .

قال ابن رشيق خولفت العرب في كثير من الشعر الى ما هو أليق منه وأمس بالوقت وأليق بأهله فان القينة الجميلة لم ترض ان تشبه نفسها بالذباب كما قال ابو محجن

ترجع الصوت احيانا وتخفضه كما يطير ذباب الروضة الغرد

وطارز قوله ذلك ابن حجة بقوله والعرب عذرها واضح في ذلك فانه لم يسعها ان تذكر غير ما وجدته في المهامه المقفرة من الذباب والاساريع وشجر الاسحل وما اشبه ذلك ومن اين للعرب ان تقول كقول ابن المعتز في الهلال :

فانظر اليه كزورق من نضة قد أثقلته حمولة من عنبر

وهي عن الزورق والعنبر وعن كثير من ذلك بمعزل . واين وصف عنترة لروضته بالذباب والزناد الاجذم في قوله من المعلقة

وخلا الذباب بها فليس ببارح غرداً كفعل الشارب المترنم
هزجاً يحك ذراعه بذراعه قدح المكب على الزناد الاجذم

من وصف العلامة يحيى بن هذيل المغربي لروضته الاريضة حيث اتى ببديع الغريب وقال

نام طفل النبت في حجر النعامى لاهتزاز الظل في مهد الخزامى
وسقى الوسميّ اغصان النقا فهوت تلثم افواه الندامى

أما تشبيه عنترة فانه معدود من التشابيه العقم غير ان عقادة التركيب في تقديم الالفاظ وتأخيرها اسفرت عن اقطع يحك ذراعه بذراعه .

وأين قول امرئ القيس في تشبيه الانامل

وتعطو برخص غير شثن كأنه اساريع ظبي او مساويك اسحل

من قول الراضي بالله

قالوا الرحيل فأنشبت اظفارها في خدها وقد اعتقلن خضابا
فكأنها بأناملي من فضة غرست بارض بنفسج عنابا

ولو شئنا لاتينا على كثير للعرب مما يجب ان يرغب عنه ولكنه قتل للوقت فيما لا طائل تحته وفي هذا بلاغ

يقول الخليل ان الشعراء امراء الكلام يتصرفون فيه كيف شاؤا جائز لهم فيه مالا يجوز لغيرهم من اطلاق المعنى وتقييده ومن تسهيل اللفظ وتعقيده . ليت شعري اين كان الخليل واين كان ذكاء الخليل : ولكن

عذره ان عصر العرب القدماء كانت رتته تجول في افكاره فسكر بسلافهم واخذ بما اخذوا به من تسهيل وتعقيد واطلاق وتقييد حتى وضع العروض على طول كلامهم واختط البحور من مواردهم ومصادرهم فعذره عذر من وصف الحسناء بالذباب والانامل بالاساريع ومساويك الاسحل . ولكني أقول ان الشعراء اسراء الكلام يتصرفون فيه كيف شاؤا جائز لهم في النظم ما لا يجوز لغيرهم في النثر ما دام كلامهم لم يتجاف عن مضاجع الرقة جنبه حتى يكون سهلاً ممتنعاً كالماء السلسل يتجرعه الشارب فيسيغه . وفيما أرى انّ سالك تلك السبيل الاولى والناسج على ذلك المنوال القديم الذي حطمته الازمان لا حظ له في اسم الشاعر ما دام قلمه مغزلاً وغزله كالهجن المنفوش .

دخل ابو العتاهيه على عمر بن العلاء فانشده بعد قليل من ابيات الغزل

انى أمنت من الزمان وصرفه ... لما علقت من الامير حبالا
لو يستطيع الناس من اجلاله ... تخذوا له حر الخدود نعالا
ان المطايا تشتكيك لانها ... قطعت اليك سباسباً ورمالا
فاذا وردن بنا وردن خفائفاً ... واذا صدرن بنا صدرن ثقالا

فاعطاه سبعين الفاً وخلع عليه حتى لا يقدر ان يقوم فغار الشعراء لذلك فجمعهم ثم قال . يا معشر الشعراء عجباً لكم ما أشد حسدكم بعضكم بعضاً ان أحدكم يأتينا ليمدحنا بقصيدة يشبب فيها بصديقته بخمسين بيتاً فما يبلغنا حتى تذهب لذاذة مدحه ورونق شعره وقد اتانا ابو العتاهية فشبب بابيات يسيرة ثم قال وانشد الابيات المذكورة فما لكم منه تعارون :

وجماع القول فى الشعراء ان لا يخرج الشاعر عما يعهده القوم حتى يصادق الخَبَرُ الخَبَر . فانه من العبث ان يسير الانسان قابضاً يده على زمام بعيره ناظر الى مناسمه ونسوعه وما يسير فيه من السباسب والفدافد والضحاضح وما يتبع ذلك من الجَنَان وانصداع الفجر والتهجر والآل الخ آخذاً فى ذلك بازمة الخيال يصف كيف شاء سائراً فى اى طريق فبينما هو على بعيره فى نجد اذا هو امامه فى تهامة اذا هو خلفه فى العقيق اذا هو فى الحصيب . امكنة لا يعرفها ولم يكن رآها حتى يكاد شعره يكون عند قومه من اللغات الاجنبية .

ذكر صاحب الاغانى قال مسعود بن بشر لابن منادر بمكة من اشعر الناس ؟ قال من اذا شئت لعب ومن اذا شئت جد فاذا لعب اطمعك لعبه فيه واذا رمته بعد عليك واذا جد فيما قصد له آيسك من نفسه قال مثل من ؟ قال مثل جرير حيث يقول اذا لعب

ان الذين غدوا بلبك غادروا وشلا بعينك لا يزال معيناً
غيضن من عبراتهن وقلن لى ماذا لقيت من الهوى ولقينا

ثم قال حين جد

ان الذي حرم المكارم تغلباً جعل النبوة والخلافة فينا
مضر ابى وابو الملوك فهل لكم يا خزر تغلب من أب كأبينا
هذا ابن عمي فى دمشق خليفة لو شئت ساقكم الىّ قطينا

مثل هذا يكون أشعر الناس فى عصرنا لو تبع جده ولعبه فى وصفيهما باقى شعره فى مذاهب الشعر العربى وعلى هذا المنوال فلينسج الشاعرون .

(للكلام بقية)